

ناهين وآمرين . اضخم انواع السكر ، المع المجوهرات ، اقل الاساور ، اطول الفراء وعلجرا . من القصص التي رواها لويد جورج ان ساسون اهداه مرة باثة من اوراد حديقته . وفعل ذلك بأن جاء الى بيت لويد جورج بالورد وبالبستاني الذي زرعه وقدمه الى رئيس الوزراء . وقد أعرب حتى هرتزل نفسه عن تقززه من مناظرهم في يومياته ، ولكنه هو شخصيا كان ضحية لها فقد كان اعداد ملابسه عملية عسكرية كاملة . وراحوا يصرون على حقوقهم المدنية حيث لزمتهم وحيث لم تلزمهم . ويكفلون الويل للمسؤولين عند أي اخلال بها . وما زلنا نلتقى صورا من هذا السلوك في مقاضاة نوادي التنس والكولف الانكليزية التي لم تسمح لليهود بعضويتها ، في احتجاج عمال البريد اليهود في نيويورك على وضع شجرة عيد ميلاد في الدائرة لم تضع الشمعدان اليهودي في اعياد اليهود .

وقد أثار السلوك المتفطرس سخط العاطفين على اليهود والمعادين لهم على السواء ، وبينما حذرهم احدائهم من مغبة ذلك راح اعدائهم يهدرون كراماتهم قصدا لتأديبهم ، كما كانوا يقولون . وتالفت في المانيا والنمسا « جمعية مكافحة الفطرس اليهودية » لهذا الغرض . ودأب الطلبة في الاوساط الجامعية على كسر هبة التلميذ اليهودي المتفطرس باهاتته ثم دعوته الى المبارزة . ولما كان استعمال السلاح ما زال غنا بعيدا عن الحياة اليهودية ، فقد أهدرت كرامات وكرامات . وأمام هذه المذلة الجديدة ، نشط القوميون اليهود بالندوة الى تعلم المبارزة . وكان المسمى اول خطوة تخطوها الحركة الصهيونية نحو عسكريتها الحالية . وقد خر كثير من الشبان اليهود ضحايا المبارزات نتيجة حادثة عهدهم بالسيف والقدارة في مواقف درامية اثار شجون الكثير .

ولكن جمعية مكافحة الفطرس اليهودية نهت أعضائها من منازل اليهود ، لان المبارزة عمل من اعمال الشرف ولما كان اليهودي لا شرف له فليس مما يشرف الالماني منازلته .

بيد أن النزال بين اليهود واعدائهم في اوربا الوسطى استمر على النطاق الاوسع الى أن وصل نتيجته الاخيرة في نهاية الحرب العالمية الثانية . لم تكن نتيجة هذه الحرب إبادة بضعة ملايين من اليهود وانما إبادة اعداء السامية

الى المال وتوجها الى روتشيلد الذي تأمل في الامر مليا قبل ان يقرر في الاخر فرض انكلترا . اصبحت نقوده من الاسباب التي كفلت لها النصر . كان من المفروض في أي عصر غير العصر الليبرالي الحديث ان يبعث الامر بعساكره الى المرابين اليهود في مقاطعته لثأته منهم بما يريد . أصبح احترام القانون في العصر الليبرالي أعظم نصر حققه اليهود في تاريخهم . من الان وصاعدا أصبح على الراغب في مالهم ان يخطب وهم . وجاءت نقطة التحول الجديدة في ثورة ١٨٣٠ عندما انتزع لويس فيليب الحكم بمساعدة الجنرال لانبيت الذي صرح علنا «من الان وصاعدا سيكون الحكم بيد الصيارفة» .

من الان وصاعدا أصبح على سياسة اوربا ان يأخذوا بنظر الاعتبار رأي واهواء روتشيلد وزملائهم . العصر الحديث هو عصر رأس المال الذي يقاس كل شيء فيه بالارصدة والنسب المئوية . وأصبح من الطبيعي لاغنياء اليهود ان يمسكوا بزمام امور مثل هذا العالم . ولعل من اولى الوثائق الدبلوماسية التي أشارت الى نفوذ اليهود في الميدان الدولي وكشفت عن التفات سياسة الغرب الى هذا النفوذ ما كتبه اللورد بالمستون الى السفير البريطاني في الاستانة ملوحا الى مصلحة السلطان في كسب ود اليهود كأصدقاء متنفذين . واصبحت التفاتة بالمستون الفكرة التي راودت ذهن معظم الساسة المقبلين على انتخابات او حروب دامية .

ومن الناحية الاخرى ادى الحوصول على الحريات المدنية الى انهيار شباب اليهود على كل مهنة مرموقة فتضخمّت نقابات المحاماة والطبابة والفنون والعلوم بنسب عالية منهم . وبعد قرون من الحرمان والكبت ، بز اليهود زملاءهم الاغيار ولمت أسماؤهم في معظم الميادين من الفيزياء الى الموسيقى والادب .

لاح لهم عندئذ ان ما قاله اجدادهم عن الشعب المختار وصفاته الفريدة شيء حقيقي . لقد ازال العصر الرأسمالي الليبرالي تلك الهوة بين الواقع والخيال التي أشرنا اليها . وما كان لهم بهذه النعمة الجديدة الا ان يتصرفوا كأي حديث نعمة ، فملأوا الاوساط الراقية من المجتمع الغربي بشتى المظاهر البراقة الفجة ، وراحوا يدخلون ما كان محرما عليهم ارتياده من قبل فيملأون المكان ضجيجا